العين الواعية هي العين الحكيمة التي تفيض بالوداعة والعطف وتجذب الآخرين إلى دفء محبتها

«بعد ساعات طويلة وصل القطار إلى البلدة المقصودة في جبال الهملايا... حيث يربض مركز الوعي المتفوّق. ترجلتُ ورحتُ أتلفّت يمنة ويسرة باحثاً عن الذي ينتظرني ليقلني إلى مكان إقامتي الجديد. فلمحت من البعيد شخصاً يحدّق فيّ، ما لبث أن دنا مني مرحّباً: «أهلاً وسهلاً بك في موطنك الجديد»... وأضاف برقة بالغة، «من الأفضل أن نسرع قليلاً ليتسنى لك تفريغ حقائبك وأخذ قسط من الراحة قبل مقابلتك المعلّم في السابعة مساءً».»

رحلة في رحاب الحقيقة

لا أحد يملك الحقيقة.. الحقيقة هي التي تمتلكنا

بقلم: شارلوت ملحم
charlotte.melhim@gmail.com
www.esoteric-lebanon.org

هذه ليست قصتي، وحبذا لو كانت... إنها شذرات من الرواية التي قرأها يوسف على مسامع شُبان وشابات القرية. كان يوسف يختار كتباً مختلفة تستوقف الفكر للتساؤل في بواطن الأمور. كانت تلك الروايات تكشف النقاب عن الأسرار والمعارف الخافية، إلاّ أنه لم يكنْ يكشف مصدرها، أو أسماء كتّابها، أو حتى عناوينها... وكأنه كان يحاول أن يظل هو المرجع والمحور للحضور المهتم بتلك الأمور...

أكمل يوسف سرد السيرة الذاتية التي أتت كما اختبرها كاتب الرواية بنفسه. قرأ لهم عن تفاصيل الرحلة، وصولاً إلى معهد المعرفة:

«دخلنا الفناء الخارجي. هادئاً ساكناً كان المكان. تُرصّع أرضه أشكالٌ هندسية ملوّنة، مطعّمة بالبلاط. شرح المرافق أن الطابق الأرضي خاص بالمحاضرات والمكتبة العامة، ثم أرشدني إلى قاعة اللقاءات الخاصة حيث سأقابل المعلّم في الساعة السابعة مساءً.»

عندها قاطع أحد الحاضرين يوسف بسؤال: «لم أكن أتخيل أن تلك الأماكن النائية تحوي مكتبات وقاعات محاضرات... كنت أعتقد أنها تقتصر على قاعات للتأمل... أليس الأمر كذلك؟»

ابتسم يوسف من دون أن يوجّه نظره إلى السائل، وقلّب الصفحات، وكأنه يبحث عن جواب بين طياتها، ثم توقّف على صفحة قرأ منها كلمة ترحيب معلّم ذلك المعهد بطلابه الجدد:

«أهلاً بكم في معهدكم الجديد، المعهد الذي سيكون منطلقاً لكم إلى مستقبل أرقى تطوّراً ووعياً... في مثل هذا اليوم من كلّ عام، نستقبل طلاباً جدداً في هذا المركز- معهد الإرادة. وأنكم كُرّستم طلاباً متفوّقين لتباشروا مرحلة تطور متفوّق.

هنا يتلقّى الطالب دروساً نوعية، وتعاليم وإرشادات

العقل.. حين يختمر بوعي الحقيقة، يبلغ المرء حقيقة ذاته

ومعلومات متفوّقة، ويتعرّف إلى بعض المخططات المستقبليّة التي ستنفّذ على الأرض - في المستقبل القريب وفي المستقبل البعيد. المقصود أننا لا نطلعكم على الأسرار من باب الفضول أو حب الاستطلاع، بل للمشاركة فيها، والتطوّع للتنفيذ... مبدين آراءكم ووجهات نظركم فيها... ثم تنفّذون ما تستطيعون منها بحكمة الوعي المتفوّق».

ساد الصمت في القاعة من حول يوسف... وكأنه يحاكي الصمت الذي عمّ في أرجاء ذلك المعهد في جبال الهملايا، عند تلاوة كلمة الترحيب! فتلك الكلمات لم تكن ملكاً ليوسف ولو أنه حاول أن يحتكر مصدرها. كان وقعها على الحضور، يستفزّ فكرهم ويستحثّه للبحث عن الحقائق...

تبيّن للحاضرين أن في تلك المنطقة النائية في الشرق الأقصى، معهد للمعرفة، يعمل وفق برامج وعي ومخططات عطاء، يضعها معلمون متخرجون من ذلك المعهد... وقد يشاركهم في تنفيذها بعض من طلابهم المتقدمين... لم يسمع الحضور بمثل هذه الأمور من قبل، ولا شك أن تلك المقاطع من الرواية كانت بمثابة

انكسرت مرآة الحقيقة فاعتقد أن كل من لمّ قطعة منها أنه قد امتلك الحقيقة

صدمات وعي لهم!

سأل أحدهم يوسف: «وهل يذكر الكتاب شيئاً عن مقدرات هؤلاء الأشخاص الباطنية وعن الخوارق والمعجزات التي يقال أن حكماء الشرق الأقصى مقتدرين على اجتراحها؟».

علوم وليست خوارق

أجاب يوسف: «هي في الحقيقة علوم وليست خوارق وأساطير. سأقرأ لكم فصلاً من الكتاب عنوانه: أسرار من علم «المعجزات»، سيعطيكم مفهوماً جديداً لما يدعى بالمعجزات». وبدأ يوسف القراءة:

«شارفت المرحلة الأولى على الانتهاء، مع انقضاء الأعوام الثلاثة على دراستنا، وفي صباح اليوم ما قبل الأخير، اجتمعنا في قاعة المحاضرات في حوار مع المعلم. ولأول مرة شاهدنا على المنضدة الجالس خلفها أغراضاً مكتبية: أقلام، أوراق، ملف، دفتر، ممحاة، ساعة آلة حاسبة، إلى ما هنالك من أشياء مكتبية صغيرة خفيفة مألوفة. وابتدأ المعلم حديثه، فاسحاً في المجال لأسئلتنا:

«يقول ما يُدعى بعلم المعجزات إن هذه تحدث عندما توازي طاقة العقل عاطفة القلب، فتبرز الإرادة الموحّدة ويتحقق فعل المعجزات...

بعضهم سمّى المعجزات عبقرية الطاقة الذاتية. لكنّ الأصح القول إنها تقنيّة الباطن. إنما ليست تقنية جافة بالمعنى المألوف، بل إبداع محبّة وعطاء، تكامُل إشراق انبلج عن صقل داخلي متميّز. فالعطاء الكبير، العطاء المتفوّق، هو أن تبدع شيئاً من ذاتك... شيئاً لم يسبقك إليه أحد! (وأردف المعلم) السر ليس في اقتران

العاطفة بالعقل أو تفتحهما معاً على الخير، بل في الربط بينهما... في رباط أبدي مقدّس».

طاقة دفينة

توقف يوسف لبضع ثوان وكأنه يترك لهم فرصة استيعاب ما ورد، ثم أكمل وقرأ الحوار الذي جرى بين معلم المعهد والطلاب:

الطالب: «كيف يتمّ الربط؟».

المعلم: «بجعل العقل يحبّ، والعاطفة تفكر... أي بتبادل الموازين!».

الطالب: «وهل يبقى الإنسان طبيعياً؟»

المعلم: «أسأل كيف يصير!... يصير معجزة... فتتحقّق المعجزات على يديه!».

الطالب: «سرّ كبير!»

المعلم: «لا بل طاقة دفينة برزت».

الطالب: «وهل يبقى الإنسان هذا بين البشر؟».

المعلم: «يبقى أقل من عاديّ... ويعمل كالجندي المجهول في حقل الخير العام».

الطالب: «لا شك أن التواضع هنا ليس السرّ».

المعلم: «التواضع موجود طبعاً، والمحبّة فاعلة... إنما السر يبرق في صمت النظرات... وفي إغماضة العينيْن أكثر من تفتيحهما!»

وران صمت طويل (في ذلك المعهد)، صمت لم يخترقه أنفاس الحاضرين، صمت سكنتُ معه هبّات الريح في الخارج، فاستحال سكوناً خلاقاً... سكوناً ابتلع الجاذبية عن الأشياء على المنضدة أمام المعلم، فارتفعت في فضاء القاعة وكأنها معلقة في الهواء... منها ما كان يتهادى ومنها ما بقي راقداً في الهواء... أو سابحاً أمام أبصارنا!

ابتلعتنا الدهشة ونحن نشاهد ما نشاهد... وعقد العجب ألسنتنا ونحن شاخصون إلى المعلم، إلى عينيه نصف المغمضتين... وكأننا نسمع دقات قلبه ونبض تفكيره. ظل واقفاً حابساً أنفاسه. ثم بان لنا ضياء جليل حوله يتفاعل فيه ويكلل قامته ويغمره من دون أن يخفيه... تبعه شعاع نور امتد من وسط دماغه إلى وسط القلب، رابطاً كليهما. ثم توهّج الدماغ باللون القرمزي، وتوهج القلب باللون الأزرق، فغدا الشعاع بنفسجي اللون.»

إلغاء الجاذبية

نظر يوسف نحو الحضور، ليراهم في حالة دهشة وفضول، فيما نظراتهم تطالب بأن لا يتوقف عن القراءة، فتابع:

«أخذ المعلم نفساً هادئاً عميقاً، ومع زفيره البطيء أبصرنا الموجودات السابحة في الهواء، تهبط شيئاً فشيئاً، تهبط بكل هدوء وانتظام وتأخذ أماكنها على المنضدة حيث كان كل منها قبلاً، من دون أن نسمع لها ضجيجاً أو صوت ارتطام.

ومع عودة كل شيء إلى طبيعته، عدنا من شرودنا المذهل إلى وعينا الحسّي، عدنا إلى عالم الواقع من عالم الحقيقة.

«هل كنا في رؤيا أو انخطاف؟». همس أحدنا بصوت مخنوق، وسمعنا الجواب:

الرؤيا لا تنتمي إلى عالم الواقع. الرؤيا تريك الحقيقة عبر الانخطاف... أي تضعك مؤقتاً في عالم الأحاسيس الباطنيّة، بعد تنحية أحاسيس الجسد مؤقتاً».

«ماذا عن إلغاء الجاذبية عن الأشياء؟»

«الجاذبية طبيعة أرضية».

«هل يعني أننا ارتفعنا عن الجاذبية نحن أيضاً؟».

«أنتم لم ترتفعوا. تخدّرت أجسادكم بأحاسيسها فبرز الباطن بجوهره».

«إذاً، ليست معجزة!»

«من قال أنها معجزة؟! لا وجود للمعجزات في عالم الباطن. ما رأيتموه هو حقيقة عالم الباطن، والحقيقة فعل في عالم الباطن».

«هل تعني أن الأشياء لم ترتفع من مكانها بل رأيناها في عالم الباطن على حقيقتها سابحة في الفراغ؟».

«لا بل أعني أنكم انتقلتم إلى عالم الباطن، فتبعتكم الأشياء من حولكم، أو قل هي انتقلت إلى حقيقتها أيضاً».

«هل تعني أنك أظهرت لنا باطن الأشياء؟».

«ليست للأشياء أجسام باطنية، أي أنها لا تستطيع أن تتواجد في مكانين في الوقت نفسه! حالة الباطن فيكم ألغت الجاذبية من حولها فارتفعت الأشياء الصغيرة في الهواء، ولو لمستوها لكنتم تأكدتم أنها مادية كما هي».

«إذا، الفضل يعود لنا!»

«الفضل يعود لإيمانكم في أعمال الباطن التي هي ليست في الحقيقة أعمالاً بل حالة الباطن الطبيعيّة».

«وماذا كان دورك؟».

«وضعتكم في تلك الحالة».

«ولو لم تضعنا، أكنا نستطيع المشاهدة؟».

«من دون شك!».

«كيف؟».

العين الحكيمة

«أضع نفسي في تلك الحالة، فتبصرون ما تسمّونه «معجزة»... أما إن اختبرتم تلك الحالة بأنفسكم فتصبح فعلاً طبيعياً للباطن فيكم!».

كان درساً بليغاً. ليس ما شاهدناه، بل كيف شاهدناه واختبرنا الحقائق حسياً. فالمعجزة كانت حالتنا وليس ارتفاع الأشياء في الهواء فحسب! والمعجزة الأكبر، أو الحالة الأهم كانت ما أبصرناه في المعلم أثناء ذلك. إلا أننا ما توقعنا أن تبقى العينين في نصف اغماضة. لأن وكما هو معلوم، الحدّة في تركيز البصر هي من المقومات الأساسية في صناعة «الأعمال الخارقة».

وأذهلنا جواب المعلم:

«عندما يعتاد المرء هذه الأعمال تلمع الإرادة عنفواناً في نظراته... بانتظار الفكرة أن تقدحها.. وهنا يكمن الخطر الشديد إذا ما صارت هذه الأمور عادة باطنية... أي تعمل من تلقاء نفسها لاشعورياً من صاحبها... فيختلط عليه الواقع، فمن الحكمة له أن يغضّ النظر عن الشواذ في المجتمع وفي المحيط حتى لا تسوّل له نفسه تصحيحها قبل أن يحين الأوان، أو قبل أن يدرك أصحابها الأخطاء ويعملوا على تصحيحها بأنفسهم.

العين المقتدرة الواعية هي العين الحكيمة التي تستدفئ فيها الوداعة والعطف والمساعدة وتجذب الآخرين إلى دفء محبتها، ولا تتقد بالعنفوان والبريق الإرادي إلا عند التنفيذ، من دون أن يلحظ ذلك أحد!!!».

من يملك الحقيقة؟

وبذلك أنهى يوسف ذلك الفصل، وسط أجواء الدهشة والإعجاب بين الحضور. وبعد بضعة ثوان، اخترق أحدهم ستار الصمت سائلاً: «يبدو أن مُعلمي هذا المعهد في الشرق الأقصى يملكون حقيقة لا

أن نصف الحقيقة في كلمات، فهذا محال... وأن نقدّم نبذة عنها، فهذا غير كافٍ... وإن ركزنا البحث في مكان ما، تجيبنا الحقيقة أنها في كلّ مكان